

الملاك الاول

تابع صفحة ٢٩٧

ان الحزن والاهتمام والخوف هي من اشد اعداء الحياة البشرية . فويل للانسان الذي تستسلم نفسه لليأس ولم تعد ترى اعلما وسببه تخرج بها من الضنك . فهو ليس الا عبارة عن شخص مدم لا حراك به ينظر الى العالم ولا يرى فيه الا ظلاما دامسا وخرابا بلقعا . تضيق به الدنيا على اتساعها وجثا تغرد له العصافير وتصفق له اوراق الشجر وترقص امشاطها وتشرق الشمس وتطلع القمر . عبثا كل ما تفعل له الطبيعة . فيجب علينا اذا ان نتجنب كل الاسباب التي من شأنها جلب الحزن والاعوجاج العقول كما نتجنب التجارب الموصلة الى الجريمة .

لا شك بان العقل قوة في اطلالة طور البشرية وازدياد رونق القناعة وحفظ الجسم فيه غيرة ورواء ما دام معصيا بالاعتدال . لم يقل شاكسبير « القلب الغليب البيج يعيش طويلا » ؟

الرجل السعيد هو الذي حصل على سر استدوار المرات من كل الظروف المحيطة به . المرأة السعيدة هي التي تبتجح كيفما كانت الاحوال . هي التي لا تخرم نفسها من هذه السعادة في الشوق والتطاول نحو المعنى والسفر والعلم والمفاهيم التي ربما لا تصل اليها مطلقا بل هي السعيدة التي تستدر من كل ما يحيط بها سرورا ولذة وبتبجح اليوم بقطع النظر عما يجلبه الغد . وقد فتح العلم الناصري الى هذا الامر واطلق عبارته القائلة « افرحوا في كل حين »

ان غلادستون السياسي الشهير وهو كان اولي من سواء بالاهتمام بما مضى او بما سيكون قال « لا اذكر باي فنتد ساعة واحدة من ساعات نومي بالاهتمام بما مضى او بما سيكون » وهو قد عود نفسه منذ الصغر ان ينظر الى كل الامور بعين السرور وطول البال . هذه هي الحياة الموزونة والمنهجية في كل حين وسعيد هو الذي اشتركت اخلاقه السليمة وعقله الموزون مع طبعه الرضي فتكون كل اقواله عمادة واعماله مفيدة ومحيطه سعيد بوجوده .

وسعيد هو الذي يعيش لاسعاد الغير وزيادة الافراح في الكون . كارليل قال عنه انه عظيم ومن هو اعظم منه اذا ان سرور الخدمة الذي يتولاه في هذا الرجل او هذه المرأة ما من سعادة اخرى تعادلها . اذا كنت ايتها المرأة تهتمين بالجمال وتودين الحصول عليه فاشغلي نفسك بجعل كل من حولك سعيدا فرحا المعشيم بكلامك . بصحكك . باتساماتك

باخلاصك . لا تنسى ان لطفك تأثيراً شديداً في الكون واعلمي ان الكلمات الطيبة التي
ينطق بها لوجه البشور هي اطيب من العسل وقطر الشهد شوية للنفس وصحة
للعظام .

اذا تقطب وجهك بوزن ثماره خلقاً فيصبح كل كلامك سلافاً فلزماً فينتج المشاجرات
الصغيرة والانتقاد الحاد وهذا ما يكثر رأياً كثيراً ويجبب عنا كل سعادة . عيشي للغير
ولا سعادهم اكثري اسمك بشماع الانبهاج في فلوب كل من تعائثر بهم فتخفهم في لطفك
مثالاً للفضيلة لا يحجم كرور الایام والامالك وافواك ستلعب على الارض كاللعج النجوم
في السماء .

وانت ايها الرجل لا ترد في مدح امرأتك لما تأتيك بما هو حسن فانك تشجعها
وتفوقها الى ما هو احسن . وانت انتها المرأة لا ترددي في مدح ولدك لما فعل الفضيلة
فانك تشجعين اليه ما هو احسن وافضل . احل كثيرين يقولون مي يا ليتنا نرى ما نمتنا ونحن
احياء . تحم المرأة فيقوم زوجها بواجبها باحسن الايات ويسكب الدمع دماً على نفسها
ممدداً حسرتها وقد لا يذكر حسنة واحدة من سبلاتها . فلو فعل ذلك مدة حياتها لاطال
ايامه . واباعها خدمته بأكثر امانته واشد حرص . لو بش زوجها واعتبر الامور الطيبة التي
كانت تعملها حباً لارضائه وتقاضى عن انتقادها على كل امر . لطيف لكن اسعد نفسه
واسعدنا وأطال امده وامدها .

ايها الزائدة علمي الاولاد ان يسندوا سروراً من كل حجة وانت ينظروا الوجه
اللامع من كل حادثة . اذا وقع الولد وهدم رجله مثلاً حولي انتباهه الى ما هو سار ولا
تدعيه عنهم بلو بلا الذي اصابه . اعصاب السفل لا تزال غضة تعمل بها المؤثرات الخارجية
فيكون عليك اذ ذاك تكيف عواطفهم ونمو بدنه الانبهاج والبشاشة فانه يصعب عليك
لو تكون هذه الخلة في الشباب ولربما يستحيل تكونها في الكهولة والشيخوخة . فولي
لذلك الذي سدم رجله كن شكوراً يا ولدي لانك لم تعثر بكسر بحجر جاك كاحل برفقتك
اين جارنا الشهر الماضي . واذا اصاب عينه لطمة ائمة فتولي له سننني فريباً . اشكر الله
يا ولدي كما انا اشكره . لانه لم يترك باطفائها بالكلية كما اصاب ذلك الولد الذي يمر من جنب
يتشانداه الاولاد يا عمور . فعليك انتها المهدية مسئولية كبيرة وكما تهتمين بتعليم
الاولاد الموسيقى والشعر التصوير وغيرها من الفنون الجميلة يجب عليك ان تعرضي فيهم
هذه الخلة خلة السرور وتعلمهم ان يتجنبوا الحزن والاهتمام كما يتجنبون المرض

قال احد الفلاسفة كن سعيداً تكون صالحاً فاذا كان الاهتمام عادة فيبيحنا بممارسته
كل قوتنا ونجرب من ذواتنا على الابتهاج والضحك ايضا
فاضحكوا واهزلوا بعض الاحيان . ولماذا ؟

لو عرف البشر ما للضحك من الامة في حفظ الصحة واطالة الحياة لانفتحت غيوم
المحوم عن الناس وجاع الابطاء . فبالضحك نغمر الاعضاء المضطربة الماخلة على الحركة
وفي ذات الوقت نحصل على سرور وانعاش فكلما ضحكنا يحدث ارتخاج واهتزاز في الاعضاء
المضطربة فتسرع بعملها ويجري الدم في الشرايين الدموية فينتعش الجسم وتبرق الاعين
يفرغ الصدر الذي منه يخرج الهواء الفاسد ومن ثم يدخله الهواء النقي فتحي الرئتان
قال الدكتور بئر المختبر الشهير والعالم المتفنن في الامراض الجلدية « ان الضحك
القلبي هو احسن دواء للامراض العقلية . فابينا بنكر فعله المنعش انه ليل مزعج او خير
محزن او فكر مقلق ؟

الذي الحاكم (الموضه) نقول لنا ان الانقسام اذا وصل لحد الضحك كان في السيدات
المهذبات عيباً . ولكن لما كانت تلك الحاكمة الظلمة تقتل النساء بشد الطغور ونمرض
الصدر لحواء السحور وضغط ارجلهن في الصين بقوالب من حديد غيرت تأميتي ونبتت
حكما وانضمت الى فئة من البشر الذين عليها الطبيعة وهي الحاكمة العادلة بان الضحك
من ابد الامور في نغذية عقل الانسان وجسمه

حفظ لنكون في خزانة كتبه بعض اقوال وروايات صغيرة هزلية وكان بلشي اليها
في اوقات الجد وانعقاد الامور السياسية معه وعند قراءتها كان يغرب في الضحك فحل تلك العقدة
بسهولة غريبة ويعود الى عمله فرحاً منشطاً . وذكر بعضهم في كتاب الى صديق له « ولا
المزح الذي يتخلل اوقات الجد والعمل لكنت اموت لا محالة »

فأي الناس لم يسمع او لم يقرأ شيئاً عن مارك توين الكاتب العصري الذي
اشهر برواياته الهزلية الحالية من الجون وكيف كانت الناس تخفف به وتجلو . فانه اقراراً
بتأثير نكاته وهزلياته التي كثيراً ما زينت بهالسا في اميركا واوروبا واضحكت ملوكاً على
عروشها . مات في غضون هذه السنة وقد عدت الجرائد وفاته خسارة جسيمة على عالم
الكتابة والعلم وابنت المتخلف ترجمته في المجلد السادس والثلاثين من هذه السنة . فقد اسعد
هنا الرجل الوقت بمجته وسعطي كتاباته سروراً للجواهر من القراء بعد مجته
قبل الختام احمد اليك واسلمك شخصياً ابنتها المرأة . ولماذا ؟ قد ذكرت السبب في

اول كلامي وسازيد عليه كلاماً ليس باقل اهمية وهو انك انت محور السعادة في الكون — مهذبة الجيل الثاني — ملكة البيت ومديرة شؤونه — فاذا كنت لا تقدرين ان تجعلي بيتك لامعاً مبهجاً ساء اولى ليكون ملجئاً لزوجك من الاعمال وملاذاً بلوذه من الاتعاب العالمية فمسكين هو رجلك . فهو بالحقيقة بدون مأوى — عالم الزبل هو ملآن من رياح الفقر والفن والطمع ومن آفات الغم والرداءة التي تهب وتستمرس في كل مجتمع انساني فاذا لم تكن البشاشة سائدة بين جدران بيتك فكأنه يلتهج . من الرضاء الى النار ويهرب من تحت الدلفة تحت المزداب

مر تفحاحك معقود بصقبة نفسك . فوجهك لا يكون بشوشاً ان لم تكن محاطك الداخلية شريفة نقية . كل عاطفة فيك اما ان تزيدك جمالاً واما ان توليك شذوذاً لان كل ما تعمله به او تقول به لا يبعث بل يترك تأثيراً في الدماغ والنفس فلا بد لكي تكوني جميلة بشوشة في الخارج ان تكوني مسرورة في الداخل

الاهتمام (التهج) والشراقة والبأس هي ذات تأثير شديد عليك لا بل هي سم قاتل لجسمك . اذا لامس الله رفوف الفقر فوق بيتك واصبح غارياً من كل لامع يسير وتبين بعجب فلا تنسادي بالويل والكبور ولا تقطي وجهك فخرمين ذانك وذوبك من كل سعادة بل اجتهد في ان تعوض عن المفقود بلطفك وهذوثة كلامك . وعند ما يجيل لك ان الشفاء ضارب احبابه من كل جهة عليك وليس لديك من قوة تقاومه فاكثري برداء القناعة ولا تحتفري بصيحتي بل انهضي نهار غد واخرجي الى الطبيعة اجيلي نظرك في الارض اولاً ثم حطتي به في غنان السماء ثانياً من حيث ينبعث اليك شرارات من الوحي الالهي قربك ان الله قد كسى الارض بحلة زاهية كله من اجلك . وعلم العاصف ان تنرد بانغماسها الموسيقية كي تطربك . ستبين ان الكون بأسره ينسجم لك فيخيل اليك ان الجو أكثر صفاء من المعتاد . وثوب الارض اشد خضرة — وان الاشجار أكثر غضاضة . والازهار ازكي عطراً — وان الهواء اطيب وانعمش — وان العاصف تنرد باكثر حلاوة . فالحياة عظيمة وما الدهاء الا ما اجل انت تفنحي عينيك في الصباح وتظفري الى كل هذه الامور . لتتشنفي الهواء النقي وتنمتعي بالغزالة الطالعة . لتشرعي بان نبضك يدق وامصاصك شديدة حية . لحسبك ان الحياة كلها لك . والعالم لك . وكل ما فيه جميل . فالسما والملائكة مجيئاً وعندنا والا فلا وجود لما على الاطلاق .